

الأب كميل مبارك

المسيحيون والتحويلات المجتمعية
العربية - الإسلامية

الأب كميل مبارك مبارك

- تخرّج في الأدب المقارن من جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين.
- وفي اللاهوت من جامعة الروح القدس.
- حامل دكتوراه في تعليم الكنيسة الاجتماعي من جامعة مار يوحنا اللاترانو - روما.
- كما خدم في المؤسسات التالية:
- رئيس معهد الحكمة الفنّي ١٩٨٦ - ١٩٨٨
- رئيس مدرسة الحكمة بيروت ١٩٨٨ - ١٩٩٧
- رئيس مدرسة الحكمة جديدة المتن ١٩٩٧ - ٢٠٠٠
- رئيس تحرير مجلة الرعية في مطرانية بيروت من ٢٠٠٦ وما زال.
- عينه سيادة المطران بولس مطر خبيراً في المجمع البطريركي الماروني كما عينه في الهيئة التنظيمية للسينودس من أجل الشرق الاوسط في لبنان.
- عميد كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة الحكمة ٢٠٠١
- نائب رئيس جامعة الحكمة من ٢٠٠٥
- رئيس جامعة الحكمة ٢٠١١

له عدّة مؤلفات أدبية وتيولوجية وسياسية وهي:

في الشعر:

- قناديل لا تنطفئ، ١٩٨٧ - حين تزهو الجراح، ١٩٩٢ - سفر بلا مسافات، ١٩٩٦ - رسائل منّي إليّ، ١٩٩٨ - خيبة أمل، ٢٠٠٠

في النثر:

- حكاية الواقع اللبناني، ١٩٧٦، - الله على ألسنة الشعراء، ١٩٩٤، - قبل أن تمتلئ السنابل، ١٩٩٩، - الأنتروبولوجيا والأخلاق الاجتماعية، ٢٠٠١، - التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، ٢٠٠١، - *La question des minorités 2002*، - حوار بلا ألوان، ٢٠٠٤، - تأملات أسبوع الآلام، ٢٠٠٥، - أعرف بماذا أؤمن، ٢٠٠٧، - المبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة الاجتماعي، ٢٠٠٧، - الجذور الثقافية للحروب اللبنانية، ٢٠٠٩، - حقاً والأمان لجميعكم، ٢٠١٠، - أخلاقيات الأعمال في الإدارة والمال، ٢٠١٠، - من جنى التجارب ٢٠١٢.

كما له عدد من المقالات والأبحاث صدرت في الصحف والمجلات اللبنانية والعديد من الحلقات التلفزيونية.

المسيحيون وثورات المجتمعات العربية - الإسلامية | حوار*

شؤون الأوسط : سيادة الأب مبارك. بداية ما هي برأيك السمات الأساسية للمرحلة التي تمر بها المجتمعات العربية والمنطقة بشكل عام؟

الأب أميل مبارك : لاشك أن الوضع العربي وبخاصة في الدول التي تعرّضت الى اهتزازات امنية او ثورات أطاحت بقادتها ولا أقول بأنظمتها، تعيش حالة من انعدام الاستقرار وغياب الرؤية الواضحة لمعالم الغد السياسي والامنّي. وهذا أمر طبيعي يحصل في أزمنة التغيير التي تطال الذهنية كما تطال المؤسسات والانظمة، فالفوضى غالباً ما ترافق الثورة لا بل تبقى لسنوات سائدة على اوضاع البلاد بالرغم من انتهاء الثورة التي تبقى الدافع الاساسي لكثير من النتائج التي تمنع الثورة من أن تصل الى اهدافها.

شؤون الأوسط : كيف تنظر الى ما يسمى بالربيع العربي؟ ما هي خصائصه وما ابرز التحديات التي تواجه تطلعات الشعوب العربية؟

الأب أميل مبارك : معظم ثورات الشعوب تولد من رحم القهر، وما تسمية الثورات العربية بالربيع العربي، إلا نتيجة لأزمة الركود والكبت والقمع، ومحاولة مصادرة العقول والسلوك، ممّا خلق نوعاً من الجفاف أو اليباس، فكانت الثورة وكانت التسمية. أمّا أبرز خصائص هذه الثورات الظاهرة الى العلن، فلا أراها واحدة في جميع المناطق العربية، ففي مصر غلب عليها تحرك الشباب الرفض، وفي اليمن، غلب عليها روح المذهبية، وفي ليبيا الروح القبلية، أمّا في سوريا فلم تتضح بعد الروح الدافعة، غير انها بدأت تأخذ شكلاً من أشكال المذهبية وذلك لأن النظام مصبوغ بالحق أو بالباطل بصيغة مذهبية.

أمّا التحدي الأكبر لهذه الثورات فهو عدم الوقوع بما وقعت فيه الانظمة التي استهدفتها الثورات. وسوف يظهر نجاحها أمام هذا التحدي أو فشلها عندما تصل الى الحكم والممارسة، وكيف ستثبت أنها قادرة على عيش الديمقراطية بأوجهها العالمية المعروفة.

شؤون الأوسط : كيف تنظر الى صعود الاسلام السياسي ولا سيما حركة الإخوان المسلمين في تونس ومصر. هل تعتقد انه يجب ان تمنح لهم الفرصة للحكم والوقوف

(* حاوره : الدكتور محمد نور الدين.

عملياً على نواياهم وتوجهاتهم وعلاقاتهم بالآخر أم أن في ذلك مغامرة ومجازفة ومحاذير؟

الأب أميل مبارك : لقد قُمع الاخوان سياسياً سنوات طويلة وهذا القمع عائد الى العقيدة الاخوانية التي تظهر واضحة في بيانهم الاساسي وطريقة فهمهم للحكم. وفي الأمرين خطورة كبيرة على الفكر العلماني والدولة المدنية والليبرالية، بالقدرة نفسه من الخطورة على المتدينين الذين لا يريدون إغراق الدولة في العصبية الدينية. أمّا وقد أتت بالإخوان صناديق الاقتراع واعطتهم الفرصة الذهبية لظهور مقدرتهم على الحكم وحسن التدبير فلمهم الحقّ بالفرصة إلا إذا كانت مصادرة للثورة، ولكن الاخوان استفاقوا على ذاتيتهم الهادفة الى استلام الحكم، وطمعوا بعدما وعدوا بعدم التسابق الى الرئاسة، وهذا احد الوجوه غير المرغوبة في ازمنا الثورات، ويضع الاخوان في دائرة الحذر، إلا اذا استدركوا واثبتوا ديمقراطيتهم وهذا امر مستبعد.

شؤون الأوسط : شكل وضع الأقليات الدينية والمذهبية في العالم العربي احد عناصر المرحلة التي تمر بها الشعوب العربية. هل تعتقد ان صعود الاسلام السياسي الإخواني سيساعد على بدء مرحلة جديدة من العلاقة بين الطرفين أم ان الهواجس ستتفاقم وتندثر بحساسيات اكبر؟

الأب أميل مبارك : لقد كانت المذاهب والاديان في المجتمع التيقراطي عبر التاريخ، واقعاً مقلقاً حيناً، ومؤثراً على السلوك السياسي غالباً. أمّا اليوم وبعد بروز الاسلام السياسي المتمثل بالسلفيين والاصوليين ومنهم الاخوان، فقد اخذت التعددية الدينية شكلاً من اشكال الصراع السياسي المبني على الحذر وانعدام الثقة، خاصة وأنّ النماذج التاريخية غير مشجعة على التفاؤل بالخير لكي نجده. لذلك من الطبيعي أن تسود المرحلة المقبلة حالة من حالات ثلاث:

أ - الخصام السياسي والتحالف ضد الاخوان.

ب - العدائية التي قد تصل الى الاقتتال.

ج - مقدرة الحكم على إشاعة مناخ ديمقراطي يطمئن الاقليات بالعدالة والمساواة.

شؤون الأوسط : لقد اعطى الأقباط في مصر بغالبيتهم أصواتهم الى المرشح احمد شفيق ضد المرشح الاسلامي الذي فاز محمد مرسي؟ كيف تفسر ذلك؟

الأب أميل مبارك : يعود اعطاء معظم الاقباط اصواتهم الى احمد شفيق الى الخطاب السياسي الذي اتى به هذا المرشح، وقد كان في زمن مبارك مغموراً بصورة الحكم الشاملة. أمّا الدافع الثاني فهو القلق من البرامج المعروفة في تنظيم الاخوان واهدافهم الدينية السياسية التي تميز بشكل واضح بين المسلم والمسيحي واحياناً بين المسلم واخيه المسلم. لذلك أقول مع فوز مرشح الاخوان السيد المرسي ان أول عمل يجب أن يقوم به

طمأنة الاقبات بالعدل والمساواة وإلا فسيزداد القلق وبالتالي عيش التوتر الدائم. فلا يرتاحون ولا يتركون سواهم مرتاحاً. وهكذا تصل مصر الى الانقسام الخطير وتفتح الباب للتدخل الخارجي السافر.

شؤون الأوسط : هل انت خائف على مستقبل المسيحيين أم إن هناك أساس للتفاؤل بوقف نزيف التهجير والهجرة الذي يعانون منه؟

الأب : نحن نؤمن بأن الوجود المسيحي في ديار الاسلام، رسالة شاءها الله ان تكون عامل سلام واستقرار، لذلك من الطبيعي جداً ألا يتخلى المسيحيون عن رسالتهم هذه حتى ولو تعرضوا للاضطهاد والقهر. أما المستقبل السياسي او الدور الوطني الذي يعلو ويخفت تبعاً لانظمة الحكم، فهو عرضة للتبدل والاهتزاز، وربما السقوط. خاصة إذا لم تُدرك الثورات أهدافها التحررية التي تطالب بالدولة المدنية التي ترعى جميع أبنائها بقطع النظر عن انتمائهم المذهبي او الديني. وهنا أقول إن الخطر ليس على المسيحيين وحدهم فهو يطال كذلك المسلمين، لأن الضحايا التي تسقط جراء الاقتتال وتفخيخ أماكن العبادة والشوارع والمؤسسات، ليست حكراً على المسيحيين، إنما هي بمعظمها من المسلمين، ناهيك عن ان الفوضى التي تلحق بالدولة تُسقط أركان الدولة عامة وهذه لا دين لها ولا مذهب، وسقوطها هو طريق رحب نحو التخلف.

شؤون الأوسط : ما هو برأيك الحل الأمثل والواقعي لمشكلة المسيحيين في الوطن العربي؟ في هذا الإطار هل تعتقد ان العلمنة يمكن ان تكون هي الحل ام ان تعارض الاسلام مع العلمنة يجعل من العلمنة مسألة غير قابلة للترجمة على أرض الواقع؟

الأب أميل مبارك : هناك حلول عديدة مقبولة معمول بها في دول تعددية عديدة، وجميع هذه الحلول مرتبط بالنظام السياسي الذي ترضى به شرائح المجتمع التي تشكل مجموع المواطنين. كما أنها بمعظمها، إن لم يكن بمجملها بعيدة كل البعد عن النظم القمعية أو التيقراطية او العسكرية الفاشية. أي أنها مبنية على أسس الديمقراطية وحقوق الانسان الفرد وحقوق الجماعات، التي تنظر اليها النظم المعتمدة في الحل المطروحة على أنها مقدسة لا يجوز إهمالها أو المساس بها. من هذه الانظمة يختار كثيرون النظام الفدرالي المعتمد في دول عديدة وراقية وناجحة أمنياً وتديبيراً. هذا ويرى آخرون أن الدولة المدنية التي تحترم جميع الديانات، وتفصل بين المعتقدات والعمل في الشأن العام، هي حل مقبول يحترم الاقليات، شرط أن تلتزم به الاكثريّة كما عليها أن تستغني كلياً عن الخطاب المذهبي أو الديني وهذا أمر صعب في المجتمعات العربية حتى اليوم.

شؤون الأوسط : كيف تقيم النموذج التركي وسعي البعض في العالم العربي لاستلهامه أو استنساخه في بعده العلماني والديموقراطي؟ علما ان هذا النموذج فشل في الداخل في ترجمة نفسه حيث نجد علمانية تقمع الاقليات الدينية المسيحية

والاسلامية وديموقراطية تنكر على الأقليات القومية حقوقها الثقافية والسياسية؟ الأب أميل مبارك : تحاول تركيا عبثاً ان تحسّن الصورة الديموقراطية على الارض التركيّة، وذلك طمعاً بدخول الاتحاد الاوروبّي، وهذا الامر ليس جديداً على تركيا، إنما بدأ مع أتاتورك الذي قلب الابجديّة الى الالفباء اللاتينية وترك الفكر العربي وبعضاً من الفكر الاسلامي، علّه يدخل مجال السباق مع الغرب المسيحي. أمّا صورة تركيا اليوم والتي يحاول البعض ان يرى فيها مثلاً، فهي بعيدة عن المقاييس الصحيحة للديمقراطية، وهذا ما سيعرضها يوماً، لا أراه بعيداً، الى الوقوع في مناخ التغيير الحاصل في الشرق الاوسط، خاصة وأنّ الشرائح المجتمعية الطاغية على شرق البلاد، مرتبطة سياسياً ومذهبياً وعرقياً بالشرائح الموجودة وبقوّة في سوريا والعراق، عنيت الأكراد والعلويين. ناهيك عن أن النظام العلماني التركي دخل مرحلة العسكرة، ولم يعد مقبولاً في عيش الحياة اليومية وفي ضمير الأتراك الفردي والجماعي، لذلك أرى ان العلمنة التركية مهدّدة بالسقوط العلني، بعدما سقطت عملياً من نفوس الأتراك شعباً وسلطة، ومعاملة الأقليات المسيحية والمسلمة ومصادرة الكنائس أو عدم إعادتها لأصحابها دليل على هذا الانحراف. شؤون الأوسط : ينظر الارشاد الرسولي الى لبنان على انه "رسالة". لكن الدور المسيحي في لبنان والمنطقة أيضا يتراجع. والمسيحيون يبررون التراجع بأن الدور في النوعية لا الحضور العددي. برأيك كيف يستعيد المسيحيون في لبنان وفي المنطقة دورهم الطليعي الذي عرفوا به وكانوا في أساس النهضة العربية الحديثة؟ الأب أميل مبارك : ليس المسيحيون في لبنان ببعيدين عن الحالة السياسية في لبنان والشرق الاوسط، وهم لم يتخلّوا عن دورهم الريادي والقيادي إنما أجبرتهم على ذلك اللعبة الدولية العابثة في مصائر شعوب الشرق الاوسط عامة. وقد استغلّ الشركاء المسلمون في الوطن اللبناني النفوذ السوري يوم كان السوريون في لبنان، وجرّدوا المسيحيين من بعض أدوارهم في الادارة والسلطات وان حافظوا على المناصفة الشكلية في المجالس التنفيذية والتشريعية والقضائية ووظائف الفئة الاولى، فهم لم يحصّنوا العيش المشترك المبني على الثقة بين ابناء الوطن الواحد. لقد سقطت هذه الثقة ويعمل المسيحيون على احيائها في نفوس ابنائهم، وبها، وبرضى المسلمين، يعود التضامن الى المجتمع اللبناني. فالمسيحيون لم يطلبوا يوماً شيئاً للمسيحيين فقط، إنّما كل ما طلبوه من الحقوق التي تؤمنها الديموقراطية إنّما طلبوه لجميع ابناء المجتمع اللبناني. شؤون الأوسط : ما هو رأيك في مقولة "تحالف الأقليات"؟ هل هي أساس لوقف طغيان الاكثريات القومية والدينية والمذهبية؟ أم انها عامل إضافي آخر لتعميق الأزمات؟ الأب أميل مبارك : عندما تسعى المجتمعات البشرية الى السلام تستغني عن فكرة التحالفات، ومنها تحالف الاقليات، ولكن الواقع الجيوسياسي يفرض أحياناً طرقاً

مستحدثة لحماية الذات الكيانية المتجسدة بالاطوان، ومنها الأحلاف. ولأن الاقليات يلقون المصير نفسه من محاولات التذويب والتهميش، تسعى مع بعضها البعض لخلق كيان قوي يستحيل تذويبه أو سحقه. وبالرغم من واقعية هذا الحل، لا أرى فيه مخرجاً نموذجياً لحالة اللاسلم واللاحرب الضاغطة على بعض دول الشرق الاوسط. وقد تكون مشروع حرب طويلة باردة أو حامية.

شؤون الأوسط : هل تعتقد ان المنطقة تتجه أكثر نحو التفتت والفتن؟ أم ان المخاض الذي تمر به يمكن ان يفرز توازناً سياسياً جديداً يردع طرفاً من أن يمضي ليتخلص من الطرف الآخر واستئصاله؟ وبعبارة اوضح هل تعتقد ان الموقف الروسي والصيني بالوقوف الى جانب النظام السوري سيكون بداية جديدة وفعلية لنظام دولي جديد متعدد الأقطاب؟

الأب أميل مبارك : لم يكن الشرق الاوسط يوماً غريباً عن المناخ السياسي العالمي، وهو اليوم وأكثر من أي يوم مضى، يقع في دائرة الاهتمام المركزية، لمصالح الدول شرقاً وغرباً. ونحن نرى ذلك في المواقف المعلنة صراحة ناهيك عن المخفي منها، من روسيا والصين بمواجهة اميركا وغرب اوربا، وكأننا امام سياسة اعادة المحاور ولو بأشكال متجددة، وما الحرب في سوريا بين المعارضة الميالة الى لعبة الغرب، والسلطة المدعومة من الشرق، إلا أحد اشكال الحروب القديمة التي كانت تقع بين المعسكرين، إنما بواسطة شعوب اخرى وخارج ارض المعسكرين، كما حصل في فييتنام أو كوبا وبعض النقاط الساخنة في العالم. وما هذا إلا صورة عن رفض الأحادية في السياسة الدولية ومحاولة الزام الغرب بإعادة النظر في حساباته الدولية، أكان على مستوى العولمة الاقتصادية أو الثقافية أو العسكرية.

شؤون الأوسط : السؤال الأخير: ما هي كلمتك للمسيحيين والمسلمين في لبنان والمنطقة؟

الأب أميل مبارك : اتوجه الى المسلمين والمسيحيين في لبنان والمنطقة بكلام نابع من الايمان بأن الله لا يحارب نفسه انطلاقاً من القواعد الشعبوية التابعة لهذا الدين أو ذاك. فالرحمة والمحبة كلمتان يفاخر بهما المسلمون والمسيحيون، فإذا ما اعتمدهما قاعدة للتعاطي بالحق والاخوة الانسانية، سقطت أسباب النزاع الدامي بين الشعوب. وإذا ما أراد المسلمون ان يبقى الوجه المسيحي لامعاً في ديارهم، وفاعلاً حيث يتواجد المسيحيون، يكونون قد ثمروا كلمة القرآن الكريم لا إكراه في الدين، وهي لا تعني فقط الحرية الدينية، إنما تعني كذلك أن الاكراه بجميع وجوهه هو صورة من صور الكفر. وإذا ما أراد المسيحيون أن يبقى لبنان رسالة للعيش بين الثقافات والديانات عليهم بنيان بيتهم أولاً وبعده النظر في طيب العلاقات مع الاخرين □